دير سانت كاترين

بطور سينا

للسر رابينو

قنصل انكلترا الجنرال في مصر

—٢—

الطريق من القاهرة الى دير سانت كاترين (طور سينا)

المسافة ٣٩٢ كيلو متراً تقريباً[1]

(كلمة عامة) الطريق من القاهرة الى السويس لا صعوبة فيه ولكن الطريق من السويس الى الدير شاق والافضل ان لا يجازف المرء فيه بسيارة واحدة ويستحسن على كل حال ان يستخدم المسافر سيارات خفيفة وعالية وذات عجلات كبيرة . ولا يتحتم الحصول على اي تصريح بالزيارة وانما يلزم ان يكون مع الزائر كتاب توصية طبقاً للأنحة زيارة الدير

والبنزين والزيت لا يمكن الحصول عليهما في الطريق وعلى ذلك كان من اللازم ان يتزود المسافر منهما في القاهرة او في السويس بما يكفي لقطع المسافة ذهاباً وايباباً . والماء لا يتوافر الا بأبي زنيمة وفاران وبالدير نفسه

القاهرة — يبدأ طريق السويس عند نهاية هليوبوليس بشارع الماظة . وقبل الوصول الى مخازن شركة الترام تجد قنطرة على يمينك فتجتازها ثم تتجه صوب اليسار (الشرق) . وعلى مسافة ٤٫٥٠٠ كيلومتر من هليوبوليس تسم البوليس التابع لمصلحة الحدود والمكلف حراسة طريق القاهرة — السويس . وهناك نقطة للبوليس كل ٢٥ كيلومتراً ثم تصل الدار البيضاء بعد ٥١ كيلو متراً وفيها محل للتموين . وترى قصر الوالي عباس الاول على بعد كيلو مترين من الطريق السومي ويوصل اليه طريق ضيق مهدد سير الاقدام ، وهناك تجد خرائب اصطبلات الوالي التي كانت تبيت لتربية الخيل العربية الاصيلة

---

(١) قارن Royal Automobile Club of Egypt. Itinéraire de l'Excursion du Caire au Couvent de Sainte Catherine (Sinai)

طبعة ١٩٣٠ وما كتبه الاب مايستر مان Père B. Meistermann ص ٤٩ — ١١٢

ويستمر طريق السويس صاعداً صعوداً تدريجيًّا الى جبل Iouâbéid ثم يهبط هبوطاً هيناً نحو البحر حتى تصل الى قسم بوليس السويس عند مدخل البلد ويتجه الطريق نحو اليمين للوصول اليها ويستمر حتى يتارف عمارة الاسعاف ثم يتجه الى اليسار ويعبر خطين من خطوط السكك الحديدية ويتخذ المسافر الطريق الذاهب الى « الكوري » ويعبر ترعة الاسماعيلية على « كبري » متحركثم يستمر فيه نحو الغرب حتى يصل الى معدية شركة قنال السويس وهناك تتم الاجراءات الجركية ثم يعبر القنال بالمعدية مجاناً . أما اذا كان عازماً على العبور بها ليلاً فيلزم اخطار الشركة بذلك قبل الميعاد

وعلى الشاطىء قسم من اقسام بوليس الحدود ومن ثم يتجه المسافر نحو الجنوب في طريق سهل على مقربة من القنال حتى يصل الى مباني مصلحة الكورنتينات وعندئذ يجد طريقاً الى يساره (الشرق) وعلى رأسه لوحة تدل عليه

ويبدأ طريق الصحراء متجهاً صوب الجنوب تاركاً يساره الطريق الكبير الذي يخترق سينا إلى الشرق

وإذا اتخذ المسافر طريق الجنوب وصل عيون موسى بعد ٢٠ كيلومتراً . وهناك حدائق كبيرة مسورة بالصبار او بالتين . وفي كل حديقة من النخيل ما بين خمسين ومائة نخلة . وهنا يبدأ كما يقال الطريق الذي سلكه بنو إسرائيل عندما عبروا البحر الاحمر . والطريق لمسافة خمسين كيلو متراً جيد وإنما تقطعه الوديان الجافة التي كانت تجري فيها السيول وهذه الوديان تعطل السير . وكذلك المسافة التالية وطولها خمسون كيلو متراً اخرى . ثم يأخذ الطريق في الصعود حتى وادي طيبة Ouadi Tayiba فسر حذاء الوادي حتى تصل الى خليج السويس وهنا ينحرف الطريق الى اليسار حتى ابا زنيمة . وها هي أسماء الوديان التي تكون قد قطعتها : إيران Eiran وكوراخية Kourakhiyeh أو (هيره) والاهاده Ahadéh وصدر Sadr واوردان Ouerdan وعماره Amarah ومريره Mereirah (الماره Le Mara المذكورة في الانجيل) وهاروورا Harouarah وغرندل Ghurandel . وهذا الوادي عريض تحف به الصخور الطباشيرية التي ترتفع عشرين أو ثلاثين متراً ويسمى Elim أو المرحلة الرابعة لبني اسرائيل . والمحطة الثانية التي اشارت اليها التوراة . ويجري في هذا الوادي جدول من الماء جرياناً مستمرًّا وهو ماء صاف يشوبه قليل من الملح تحف به أشجار النخيل التي تنمو نموًّا طبيعيًّا كما تحف به اشجار السنط والاثل . تعبر بعده وديان زنية Zeneh وأوسلت Ouselt وقونوصه Konoûseih واثال Ethal وشبيكة Chébeikeh وطيبة Tayibéh

ويصل المسافر الى ابي زنيمة وهي قرية فيها طائفة من النساك المسلمين وفيها مكتبان للبريد والتلغراف وبيوت موظفي شركة طورسينا للتعدين التي تصدر من هذه الميناء الصغيرة محصول مناجمها والماء نادر ويمكن ان تبتاعهُ من شركة التعدين التي تستورده من السويس

وفي الامكان النزول في دار الاستراحة اذا ابرزت تصريح مصلحة الحدود [١] او النزول في مساكن شركة طورسينا للتعدين [٢]

***

ومن ابي زنيمة يسير الطريق وخط السكة الحديد التابع للشركة المذكورة مسافة ثمانية كيلو مترات ويحاذي الشاطىء حتى تصل الى السد الكيلومتري ١٤٢ فتكون قد وصلت سهل مرخا او صحراء سين المشهورة في التاريخ المقدس فهناك نزل المن من السماء على بني اسرائيل غذاء لهم . ثم ينحرف الطريق الى الشمال مجتازاً وادي سيدرا Sidreh وهو وعر جداً ومحفوف بالصخور الجرانيتية على جانبيه مسافة خمسين كيلو متراً ثم وادي مقطب — او وادي النقوش لما في نقوشه النبطية على جوانب الجبل وعلى الكتل الصخرية المطروحة تحت الاقدام . وهناك فضلاً عن ذلك نقوش عربية ويونانية وقبطية . ثم تمر عند السد الكيلومتري (١٦٣) بصومعة الشيخ سليمان . وفي نهاية الوادي ممر صعب تدخل منهُ الى وادي فاران الذي تقطعهُ وديان اخرى جانبية كثيرة

وتمر بمنبع الخطاطين الذي يعود الى الظهور جنوبي صخرة رافيدين Raphidin التي ضربها موسى بعصاه فانبثق الماء منها ثم تمر بواحة الحسوة Khessoueh وفيها تنمو اشجار النخيل التي تظلل اكواخاً من الحجر حقيرة متناثرة حول مسجد صغير . والمناظر الطبيعية على طول الطريق جميلة وخلابة . والوادي محفوف بصخور الجرانيت التي تعلو عليها جبال سربال ، ثم يأخذ في الضيق حتى تصل فاران

وهناك حديقة وصومعة تابعتان لدير سانت كاترين والماء طيب . وقد جاء ذكر مدينة فاران في التاريخ في القرن الثاني الميلادي وكانت مركز اسقفية حوالي سنة ٤٠٠ . وبعد ان غزا عمرو مصر طرد المسلمون الرهبان المسيحيين المقيمين بفاران فأصابها عوامل الفناء ثم انتعشت فترة وجيزة اثناء حكم الصليبيين في القرن الثاني عشر . وكانت المدينة واقعة على جبل مهرات Meharrat وهو تل صخري يبلغ ارتفاعه ثلاثين متراً . وكان يحيط بسفحه سور وكانت المباني

(١) يجب ان يقدم الطلب قبل السفر باسبوع ويجب توضيح تاريخ الوصول الى ابي زنيمة وعدد الايام التي يلزم المرء تمضيتها هناك (٢) يجب ان يقدم الطلب تلغرافيا ودفع اجرة الرد مقدماً الى مكتب التلغراف

ممتدة على سفوحه حتى القمة وهي اليوم خرائب . وكانت الكنيسة في شمالها وكان برج في شرقها والى الشمال من جبل مهرات Mehharat يقع جبل طاحونة الذي يطل على بحيرة ارتفاعها ٢١٥ متراً

ويقال ان موسى وقف هناك يصلي أثناء الحرب ضد العمالقة Les Amalécites وهناك بقايا ثلاث كنائس . وفي فاران وما يجاورها عدة كهوف كان يعيش فيها النساك ومقابر ذات طراز خاص فالدور الارضي منها مكون من اروقة متوازية مغطاة ببلاطات ومفصولة بعضها عن بعض بحيطان ضخمة . والدور الاول مكون من اروقة متعامدة على الاروقة السفلى . ولا تزال الاجساد في بعض هذه المقابر مكانها وهي موضوعة بعضها بجانب بعض في الاروقة

***

وتخرج من حديقة فاران الى حراج نخيل فتجوس خلالها مسافة اربعة كيلو مترات وتمر بمضيق البويب el-Boueib وهو المدخل الشرقي لوادي فاران ثم تدخل وادي الشيخ ،ويجب ان تلزم يسارك مخافة ان تدخل في وادي سولاف Solaf الذي ينحرف الى اليمين وتطرقهُ كثيراً سيارات الصيادين غير انه لا يوصل الى الدير . وتظل في سيرك حتى ترى قبر النبي صالح الواقع على ربوة ناحية الجنوب . فاذا ما اجزتهُ وصار على يسارك فان الطريق يتجه صوب الشمال ثم يبدو لك الدير بعد مسيرة خمسة كيلومترات

(دير سانت كاترين — ٥٠ كيلو متراً . الحد الكيلو متري ٢٥٢ المجموع ٣٨٨ كيلو متراً . ماء غزير . الزمن بين فاران والدير ثلاث ساعات)

(دير الربوة «دير الرسل الاثني عشر» او قصر الملوك — ٤ كيلو مترات . الحد الكيلومتري ٢٥٦ . المجموع ٣٩٢ كيلو متراً . حديقة ومجرى ماء) والرحلة بين القاهرة ودير سانت كاترين يمكن القيام بها في ١٤ ساعة للذهاب و ١٠ ساعات للاياب . والى القارىء تعليمات زيارة الدير :

المادة الاولى — يجب أن يكون مع كل زائر كتاب توصية من سيادة المطران بطوروسينا او من يمثلون الدير في القاهرة بالظاهر

المادة الثانية — اجرة المبيت بالدير جنيه مصري كل يوم وتشمل الغذاء او ٥٠ قرشاً بدون غذاء

المادة الثالثة — يحصل رسم دخول قدره ٢٥ قرشاً عن الزيارة من الاشخاص الذين لا يبيتون

المادة الرابعة — من يرغب في زيارة جبل موسى او جبل سانت كاترين يجب ان يرافقهُ راهب من الدير يدفع اليه الزائر خمسين قرشاً . وأجرة تأجير جمل لصعود جبل موسى عشرون قرشاً ولصعود جبل سانت كاترين ثلاثون قرشاً

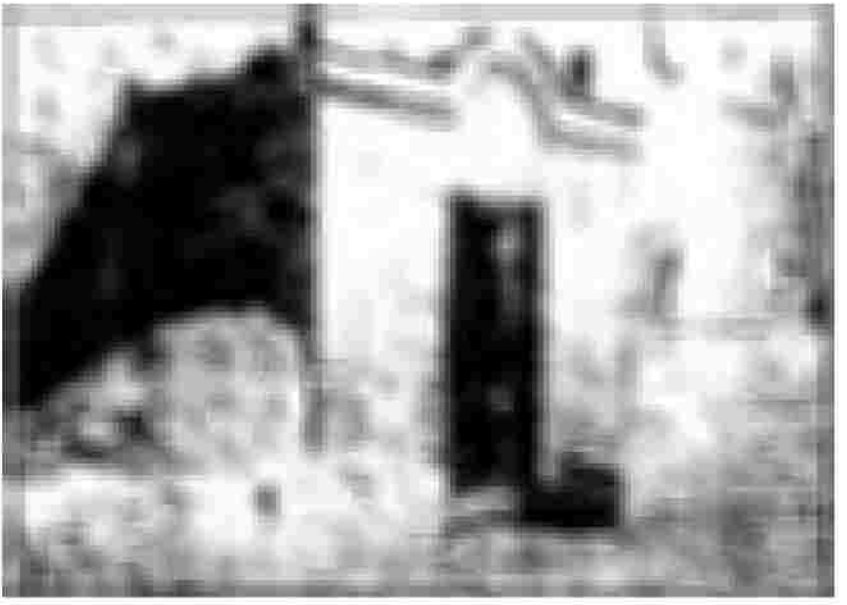

مدخل دير طورسينا (تصوير رايتو)

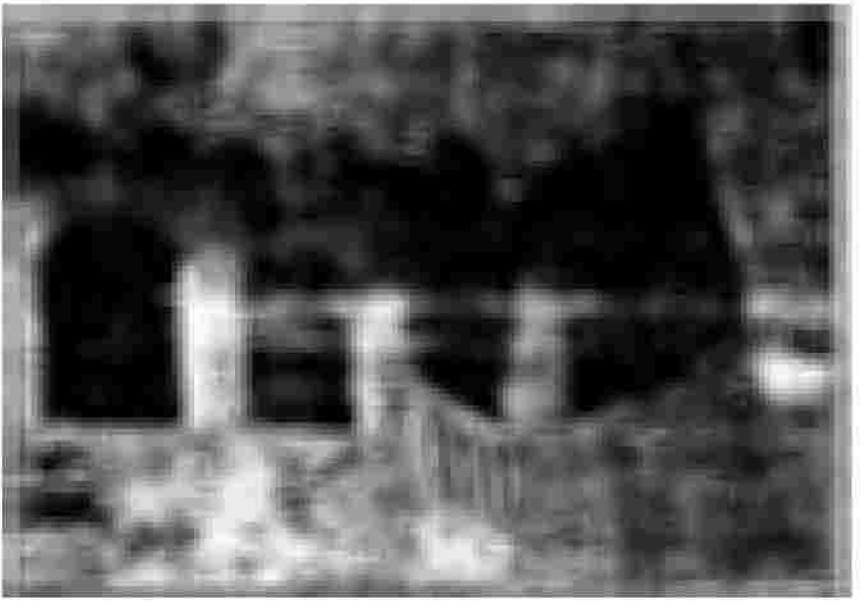

صوامع الرهبان (تصوير رايتو)

— ٣ —

وصف عام للدير — رسوم ومناظر — الصور ومخطيط البناء

لم ينشر احد على ما اعلم رسماً للدير سوى بوكوك Pococke سنة ١٧٤٣[1] ولما سألت امين مكتبة الدير هل لديه رسم للدير اجاب بالنفي . ثم تذكر ان بالمكتبة رسماً كان قد طبع على الحجر سنة ١٨١٣ . وقد صوره مسيو تانو[2] وان اهمية هذا الرسم عظيمة لانهُ يبين لنا ما كان عليه الدير قبل التعديلات والتحسينات التي ادخلت عليه في غضون القرنين التاسع عشر والعشرين

اما رسوم الدير السابقة للقرن الثامن عشر والمنشورة في بعض كتب الرحلات المتعلقة بطوبوغرافيا فليست ذات قيمة علمية لانها في اغلب الاحايين مبنية على خيال الفنانين . وقد تفضل المسيو مينيه فسمح لي بنشر صورة فوتوغرافية للوحة مؤرخة ١٦٩٦ وتبين لنا طوبوغرافيا[3] . ولا ادري ماذا صارت اليه اللوحة الاصلية التي نقلت عنها هذه الصورة

وفي كتاب وصف مصر Description de l'Egypte الذي الفهُ علماء الحملة الفرنسية نشر المسيو كوتيل J. M. J. Coutelle منظراً للدير كان كورنارو Cornaro سنة ١٧٧٨ قد رسمهُ بالزيت على كرسي المطران الذي بالكنيسة[4] ولكن للاسف لم يرسمه المسيو كوتيل الا رسماً تخطيطياً لان الصورة الزيتية الاصلية غاية في الدقة ولها شأن جوهري في بيان التطورات التي حلت بالدير

ويتحف اللورد لوفر لوحة للدير رسمها دوزاتز Douzats سنة ١٨٣٠ ونشرها مسيو كاريه J. M. Carré في كتابه Voyageurs et Ecrivains Français en Egypte[5] وقد رسم دوزاتز فضلاً عن ذلك رسماً تخطيطياً للدير ونشره في كتاب Quinze Jours au Sinai لمؤلفيه دوماس ودوزاتز A. Dumas et A. Douzats[6] ونشر لبون دي لابورد Léon de Laborde[7]

(١) قارن ما كتبه بوكوك R. Pococke في Description of the East ج ١ طبعة لندن ١٧٤٣ ص ١٥٠ بما كتبه رابينو Rabino في Le Monastère de Sainte Catherine طبعة القاهرة سنة ١٩٣٥ لوحة ١٩

(٢) قارن المرجع السابق رابينو Rabino لوحة ١٦

(٣) قارن المرجع السابق تأليف رابينو Rabino لوحة ١٧ و ١٨

(٤) انظر وصف مصر Description de l'Egypte, Etat Moderne جزء ٢ ص ١٠٣ شكل ٣ منظر دير سنت كاترين مصور في كنيسة طوربينا وقارن ما كتبه مايسترمان في المرجع السابق الذكر ص ١٢٩

(٥) طبع بمطبعة المعهد الفرنسوي للآثار الشرقية بالقاهرة سنة ١٨٣٩ ج ١ ص ٢٠٢

(٦) وهو في مجلدين وطبع باريس سنة ١٨٣٩

(٧) كتاب Voyage de l'Arabie Pétrée تأليف Léon de Laborde et Linant وناشره Giard طبعة باريس سنة ١٨٣٠

ثلاثة مناظر لدير سانت كاترين منها منظر عام وآخر مأخوذ من الشمال والمنظر الثالث داخلي. وثمة صورة أخرى في كتاب Pelerinage à Jerusalem et au Mont Sinai en 1851, 1852 et 1853 de Marie-Joseph de Géramb[1] وقد نشر روسجر Rusegger[2] في اطلسه منظرين للدير أحدهما داخلي والآخر خارجي. وفي كتاب Ordnance Survey of the Peninsula of Sinai[3] صورة للدير كما كان موجوداً قبل بناء الناتوس، ثم اخذت صور الدير تكثر في المؤلفات المختلفة من سنة ١٨٧١[4]

وقد نشر سيو كويا بارتو Coupel-Barthoux في مجلة l'Illustration[5] منظراً للدير جيلاً بالالوان كما نجد مناظر للدير والكنائس التي بالجبل في كتاب From Camel Ride to Suez to Mont Sinai تأليف آرثر ستون Arthur W. Sutton[6]

وقد بنيت أسوار الدير[7] تحت حكم يوستنيانوس وتم بناؤها سنة ٥٥٧ وهي السنة الثلاثون

---

(١) وهو في ثلاثة مجلدات طبعت في باريس سنة ١٨٣٦

(٢) Reisen in Europa, Asien und Afrika unternommen von Joseph Russeger in den Jahren von 1835 bis 1841. Atlas منظر ٢٦ و ٢٧

(٣) Ordnance Survey of the Peninsula of Sinai by Captain C. W. Wilson and H. S.Palmer, R.E. Ordnance Survey office, Southampton طبع سنة ١٨٦٩ انظر الجزء الاول — صورة لداخل الدير تبين الكنيسة لوحة ٢٤

(٤) قارن ما كتبه بابا ميخالوبولو Papamikhalopoulo وأحمد شفيق باشا وبنشفيك Benesevic ولوكيانوف Loukianoff وغيرهم

(٥) La Sinai et ses Richesses inconnues. L'Illustration عدد نوفمبر ١٩٣٠ ص ٣٣٧ — ٣٣٨ . منظر الدير ص ٣٣٧

(٦) طبع بلندن سنة ١٩١٣

(٧) قارن ما كتبه بابا ميخالوبولو Const. N. Papamikhalopoulo وصفاً للسور في كتابه باليونانية عن دير طور سينا طبع بأثينا سنة ١٩٣٢، الفصل الثامن: سور الدير ص ١١٠ — ١١٧ وقارن ما كتبه مايسترمان Meistermann في المرجع السابق الذكر ص ١٢٢ — ١٢٤ . أما صور السور فقارن ما نشره الدكتور أحمد شفيق باشا في Notes on a Visit to Sinai Monastery and a motor car tour in Sinai Peninsula, in January 1926 لوحات ٣٤ — ٣٧ وما نشره لوكيانوف في مجلة La Semaine Egyptienne الصادرة في القاهرة في يوم ١٥ ابريل ١٩٣٤ بعنوان Vers le Mont Sinai ص ١٠ والبرنس جان جورج دي سكسونيا Jean George de Saxe في كتابه Das Katharinen-Kloster am Sinai طبعة ليبزج وبرلين سنة ١٩١٢ لوحة ١٢ شكل ٤٠ وقارن Vue du Monastère تأليف نيقولايدس N. Nicolaïdes وما نشره رايتو في المرجع السابق الذكر لوحات ٣ — ٥

من حكمه وأحدثت الزلازل فيها خللاً خصوصاً مساء اليوم الاول من شهر مايو سنة ١٣١٢ فكان دوي مريع اذ تدهورت صخور الجرانيت من قمم الجبال التي تحيط بالدير فحطمت أسواره الشمالية والشرقية كما انهار البرجان وخلوات الرهبان

وكان بناء أسوار يوستنيانوس وفق تكوين الارض الطبيعي فالارض صاعدة في الجنوب الغربي نحو قاعدة الهاوية الوعرة المسماة حوريب . وفي الشمال الشرقي يقطعها واد من وديان السيول وهو في العادة جاف غير انهُ شديد الخطر عند امتلائه بمياه الامطار الغزيرة كما يحدث أحياناً . وكان شكل تلك الاسوار مستطيلاً غير منظم فكان طول الضلع الشمالية الشرقية ٨٧ متراً والضلع الشمالية الغربية ٧٤ متراً والضلع الجنوبية الغربية ٨٤ متراً والضلع الجنوبية الشرقية ٧٠ متراً وكلها تهدمت الا الجزء الأسفل من السور الجنوبي الغربي . ويختلف ارتفاع الأسوار باختلاف المواضع بين اثني عشر وخمسة عشر متراً وسمكها ١٫٦٥ متراً وفيها ممرات في داخلها وبتوسط السور الجنوبي الغربي وهو الوحيد الذي ظل معظمهُ سليماً ، برج مربع قليل البروز ويكتنفهُ في طرفيه برجان آخران مثله ، والسور مبني بأحجار الجرانيت الضخمة وفيه مزاغل تكاد تكون على ارتفاع القامة من الخارج ذلك لان الارض قد علا مستواها على اثر انهيار الكتل الحجرية من الجبل . وقد زيد في ارتفاع السور عدة امتار بمخلوط من الطين وشظايا الجرانيت[1] لان الجبل بجانبه السعودي اكثر اشرافاً على هذا السور من بقية الاسوار . وللبرج الاوسط حليات على شكل صلبان والصليب الاوسط يكتنفهُ من الجانبين حملان وبين الابراج على مسافات واحدة منقوش على كل من الجرانيت صلبان[2] والسور الجنوبي الشرقي يكاد يكون سليماً جزؤه الادنى لمسافة مائة متر . وفي البرج الاوسط عشر فتحات[3] لصب الماء المغلي على المهاجمين

أما السور الشمالي الشرقي المسمى ديوار دواره Diwar Donawara أو سور الهاوية فهو اشد الاسوار تخرباً ويسهل تمييز ما تجدد منه فقد بني السور اول مرة سنة ١٣١٢ ثم انهار بعضهُ في نهاية القرن الثامن عشر ، وارسل الجنرال كليبر من مصر ٤٦ عاملاً سنة ١٨٠١ لتجديده والى عصره يعزى البرج المستدير في الطرف الشرقي الذي يبرز ٣٫٥٠ متراً عن السور وبرج مربع وبرجان مستديران متصلان يكوّنان برجاً واحداً يسمى برج كليبر وعليه كتابة يونانية في ستة أسطر بارزة منقوشة على لوحة من الرخام :

(١) انظر المرجع السابق تأليف مايستزمان Meistermann من ١٢٢ — ١٢٤

(٢) قارن ما جاء في كتاب رابينو المذكور آنفاً شكل ٢ ولوحة ٦ شكل ٢

(٣) وليست سقاطات (مشربيات مهارية) machicoulis عادية وانما هي فتحات أفقية مفتوحة في السور يميل نحو القاعدة لالقاء السائل الى الخارج

« المسيح — القديسة كاترينة . هو الصليب . يغلب . جدد من أساسه في أول مايو ١٨٠١ »
وفي عصر المطران قسطنطيوس Constantios جدد السور لآخر مرة وعلى السور الخارجي الى اليمين من برج كبير كتابة عربية في خمسة اسطر بالخط النسخي البارز منقوشة على لوحة من الرخام

« قد حضروا الى هذا المكان المقدس المطين من طرابلس الشام عقولا وهبه موسى سليمان وهبه وابراهيم جرجس جرجس سنة ١٨٣٩ مسيحية »

وعلى السور من الداخل كتابة عربية في ثلاثة أسطر بالخط النسخي البارز على لوحة من الرخام مقاسها ٣٠ ر . × ٢٣ ر . متراً

« من طرابلس الشام سنة ١٨٤٠ مسيحية الحقير الى اقل المعلم يوسف كانو اغفر لهو يارب »وفي هذا الجزء الاخير من السور كتل كثيرة من الجرانيت منقوش عليها صلبان ذات اشكال مختلفة . (١) وقد درس سيو بابا ميخالوبولو Papamikhalopoulo في كتابه على دير طورسينا ، الحروف الابجدية اليونانية المنقوشة على بعض أحجار السور الخارجي وعلى سور الكنيسة وبعض الابنية التي داخل السور (٢)

والجزء الجنوبي من السور الشمالي الغربي يرجع الى عصر يوستنيانوس ولكن الجزء الشمالي حديث وباب الدخول موجود في هذا السور

فاذا ما وصلت الدير فانك واجد على يسارك قبل الباب السوي بوابة كبيرة مسدودة تمام الانسداد وتسمى باب الرئيس . وكانت لا تفتح رسمياً الا عند تعيين رئيس اساقفة جديد ولكن لما كانت العادة في هذه المناسبة ان يوزع الدير من المال والملابس ما تبلغ قيمته ألف جنيه مصري تقريباً على شيوخ قبائل الجبلية والطوارئ الذين هم في خدمة الدير منذ قديم الزمان فقد عدل أولو الامر سنة ١٧٢٢ عن فتح هذا الباب بهدم الحائط الذي يسده

ونجد فوق مدخل الفناء الخارجي للدير كتابتين يونانيتين بحروف عادية بارزة الاولى في ستة أسطر والثانية في ثلاثة اسطر

« جدد هذا الدير المقدس كلهُ ، دير سانت كاترين ، المحترم الاسقف المطران كيريلوس من القسطنطينية سبتمبر سنة ١٨٦١ »

---

(١) قارن ما جاء في كتاب رابينو Rabino الآنف الذكر وشكل ١

(٢) قارن ما جاء في كتاب بابا ميخالوبولو Papamikhalopoulo ص ١١٥ — ١١٧

بني الباب الحالي في عصر جريجوريوس من زنته Zante أمين المخازن سنة ١٨٦١. ومستوى الفناء الذي يسبق باب الدخول أعلى من مستوى ارض الدير الداخلية . وهذا الفرق ناشيء من النفق الذي بناه الرهبان بالحجر بين الدير والحديقة

***

وهناك باب واطيء يسبقهُ مدخل مسقوف يوصل الى الدير [1]. وفوق هذا الباب كتابة يونانية مونة من ثمانية أسطر بارزة منقوشة على لوح من الرخام طوله ٠٫٢٣ متراً وارتفاعهُ ٠٫٠٤٣ متراً ويرى الخبراء أن هذه الكتابة منقولة عن كتابة قديمة يرجع تاريخها الى إنشاء الدير

والى اليمين قليلاً نجد كتابة عربية في ستة أسطر بالقلم النسخي البارز منقوشة على لوحة من الرخام مقاسها ٠٫٠٤٣ × ٠٫٠٤٣ م وهي ترجمة للكتابة اليونانية السالفة الذكر

أنشأ دير طورسينا وكنيسة جبل المناجاة الفقيرة الراحي عفو مولاه الملك المهذب الروي يوستنيانوس تذكاراً له ولزوجته تاوضوره على مرور الزمان حتى يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين . وتم بناؤه بعد ثلاثين سنة من ملكه ونصب له رئيساً إسمهُ ضولاس . جرى ذلك سنة ٦٠٢١ لآدم الموافق لتاريخ السيد المسيح سنة ٥٢٧ » [2]

ويقول ما يسترمان Meistermann ان هاتين الكتابتين ليستا أقدم من القرن الثاني عشر او الثالث عشر ويبدو لي أنهما أحدث من ذلك بكثير . وإذا فتح الباب إحتجب مدخل النفق الواصل الى الحديقة فباب الدخول القديم مسدود وعلى الجزء الاسفل من السقاطة (المشربيات المعارية) Machicoulis التي تعلو الباب نجد كتابة يونانية ترجمتها : (هذا هو باب الرب فعلى العادلين أن يمروا فيه ، وهو باب الامبراطور يوستنيان المؤسس السامي)

أما المسالك الدائرية في الاسوار فهي إما مهدمة او متخربة وقد فتحت نوافذ صغيرة لانارة خلوات الرهبان أو غرف المسافرين حيثما كانت مستندة وملاصقة للأسوار

والدير يتكون من عدة مباني بعضها ذو أدوار كثيرة وبعضها مستند الى الاسوار والبعض الآخر موزع في الداخل حول الكنيسة والجامع [3] توزيعاً لانظام فيه

---

(١) وصورة باب الدخول هذا منشورة في كتاب بابا ميخالوبولو الآنف الذكر ص ١٢٠ وفي كتاب نعوم وفيريك ص تاريخ سينا (طبع في القاهرة سنة ١٩١٦) ص ٢٠٨

(٢) والملاحظ ان التواريخ في هذه الكتابة ليست مضبوطة فان تاريخ انشاء الدير يكتب عادة ٥٢٩ م وهي توافق سنة ٦٠٣٧ من آدم وسنة ٥٢٧ توافق سنة ٦٠٣٥ . وسنة ٦٠٢١ من آدم توافق سنة ٥١٣ م

(٣) وجود هذا الجامع قد فسرناه في المقال الذي نشرناه بمقتطف نوفمبر ١٩٣٦ ص ٤٠٥

«هو تلة حقيقي من الحارات والأزقة المعوجة التي تعترضها السلمات . وهي إما مكشوفة واما مسقوفة بقبوات مظلمة . وهذه الابنية متصلة باسطح بعضها فوق بعض ومحلاة بالبالكونات المعرشة او الزاحفة .

«وهنا وهناك أبنية ضيقة رطبة لا مجال فيها الا لشجرة وحيدة او صف من الأترج الكبيرة أو صناديق البرتقال فيها بعض الازهار المتفتحة الزكية والسقوف مسطحة ولكن عند كل تجديد تتغلب طريقة التسقيف بالقرميد المتبعة في مرسيليا وهي متنافرة مع الابنية القديمة التي يجعل القدم هامها ويطبعها بطابع من الشاعرية يعجز الانسان عن وصفه» (١)

***

ودخول الدير من باب مصفح بالحديد يوصل الى باب آخر وسطه الى ثرا الى اليمين محور في داخل السور ويوصل الى باب ثالث مصفح بالحديد كذلك . ومن هذا الباب يسلك الداخل حارة توصل الى درج صاعد الى الكنيسة والمكتبة على اليمين والجامع والكنيسة على اليسار فاذا سرت جهة الكنيسة وصلت الى مدخل وممر مسقوف يوصل الى المطبخ ودعة الطعام . وإذا لم تصعد السلم بل ظللت في طريقك فانك تصل الى بئر ثم الى موضع البقعة المشتعلة Buisson Ardent فاذا سرت محاذياً سور الكنيسة الشمالي فانك تجد على يمينك حديقة صغيرة والفرن والطاحونة والمعصرة ثم بئر بنات جثرو Jethro والغسل وتكون حينئذ في مستوى الكنيسة فتصعد بدرج الى احد أبنيتها

وإذا سرت وكان الجامع على يسارك فانك تمر بالخزيرة (آلة لرفع الاثقال) والمخازن على يمينك وهو استقبال اعضاء الجمع المقدس على يسارك ثم غرف هؤلاء الاعضاء على يمينك وعندئذ يصعد بسلم من الخشب الى شرفة تؤدي الى غرف المطران والمسافرين فاذا مضيت في طريقك وصلت الى المباني الجديدة المشيدة بالاسمنت المسلح وهي تشغل الجزء الجنوبي الغربي كله ولكن اذا دخلت الدير واعرفت الى اليمين بدلاً من السير رأساً الى الكنيسة فانك تجد مخازن على يمينك وكنيسة سانت اسطفان على يسارك ثم تصل الى المباني الجديدة بالاسمنت المسلح وهي صف من القاعات الكبيرة يتوسطها سلم فاذا حاذيتها وجدت على يمينك مباني قديمة مهدمة والمكتبة القديمة التي يشغلها اليوم أحد الرهبان حتى تصل الى خلوات الرهبان

[نقله الى العربية : محمد وهبي افندي احد خريجي معهد الآثار الاسلامية]

(١) انظر كتاب ما يستترمان Masterman السابق الذكر ص ١٢٤